من كتاب علي الدين الجنحاني

في حوار الحضارات

I. تلخيص شامل

1- مدخل:

أ- التعريف:

الحوار هو التفاعل و التواصل بين حضارتين أو أكثر لغاية تبادل الخبرات و لتمتين الروابط و العلاقات في شتى المجالات و هو من المصطلحات المعاصرة المواكبة لحركة التاريخ تاريخ الانفتاح على الآخر للإفادة و الاستفادة. و في غياب الحوار يكون الصدام و الصراع اصطلاحيا.

ب- الإنسان و الحوار:

الحوار مطلب إنساني و ضرورة تاريخية فالإنسان في حاجة إلى محاورة الآخر تحديدا لأناه وتعرفا عليها باعتباره كائنا اجتماعيا مدني بالطبع لا يقبل بالإنفراد و لا يرضى بالعزلة و الانغلاق على الذات و إن كان الحوار بالنسبة للفرد مسألة حتمية فإنه لا بديل عنه خاصة في زمننا المعاصر زمن العولمة و عصر تكنولوجيا المعلوماتية بالنسبة للشعوب و الحضارات.

و كما يقول توفيق بن عامر في مجلة الحياة الثقافية (العدد 171/ السنة 2006) :

" لا مجال للإنزواء فالأضواء الكاشفة أضحت تتسلل إلى كل الزوايا و الأركان في أقصى أنحاء المعمورة" غير أن الحوار بين الحضارات يقتضي قنوات للتجسد و يفترض إلى ذلك شروطا بين المتحاورين حتى لا يتحول الحوار إلى صراع و صدام و ينقلب وسيلة لفرض الهيمنة و بسط النفوذ.

2- وسائل الحوار:

للحوار وسائل و وسائط و آليات نذكر منها **الترجمة** التي اضطلعت منذ القديم بمهمة تسهيل عملية التثاقف و التفاعل و التواصل بين الأنا و الآخر فقد مثلت اللغة حاجزا مانعا منذ القديم فكان الحل في الترجمة التي رصدت إليها الأموال و العقول لإنجاحها و إنجاح أبعادها و وظائفها و خاصة وظيفة التثاقف و التفاعل و تبادل الخبرات و القدرات و المعارف و التاريخ خير شاهد على أن فكر و تفكير الشعوب لم يتطور إلا بفضل الترجمة.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

كذلك من وسائل التحاور **الإعـلام** و هو من التقنيات و الوسائل المستحدثة القادرة على التأثير بالكلمة و الصورة دون تناسي **المعلوماتية** المعاصرة مثل شبكات الانترنيت التي غزت العالم و أزالت الحدود و قلصت المسافات لتحوّل العالم إلى قرية صغيرة و يضاف إلى ذلك **الهواتف النقالة** المستحدثة القادرة على نقل الخبر و إيصال الصورة بسرعة قياسية و هو ما ساعد على التقارب و التآلف و التواصل.

3- مظاهـر حوار الحضـارات:

إن المتأمل في موضوع الحوار تستوقفه العديد من تجليات التواصل و التفاعل بين الشعوب في عديد المجالات من ذلك التحاور الإعلامي و هو ما يبدو في مستوى الانفتاح على الآخر إعلاميا إذ تعددت الفضائيات و تنوعت الصحافة المكتوبة لتشمل عالم الأنترنيت وهو ما ساعد على مزيد الانتشار و التثاقف بفضل العديد من الكفاءات.

كذلك من مظاهر حوار الحضارات التواصل السياسي و هو ما يبدو من خلال التبادل الديبلوماسي و التعاون الدولي الذي مكّن من عولمة السياسة دون تناسي المجال الثقافي و ما تبذله الدول من مجهودات رغبة في تحقيق التواصل و الانفتاح اعتمادا على المناظرات العلمية و الزيارات و البعثات التعليمية و الملتقيات الثقافية و برامج الشراكة و التعاون.

4- شروط حوار الحضارات:

قد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن الحوار لا يمكنه أن يكون ناجعا و ناجحا و مثمرا إلا إذا توفرت له الشروط اللازمة إذ " لا بد من توفر الشروط الأساسية لإقامة الحوار" كما يقول الدكتور توفيق بن عامر في مجلة الحياة الثقافية في عددها 171 لسنة 2006 الصفحة 43 و لعل من المقومات الأساسية للحوار ضرورة توفر شرط الحرية إذ لا يمكن الحديث عن الحوار في ظل الاستعمار و الاستعباد و الاضطهاد للفكر و الأشخاص و الآراء بصفة عامة و هو ما استنكره زعماء الإصلاح معتبرين أن الحرية أساس التقدم و التمدن كما ذهب إلى ذلك التونسي محمد السنوسي (1851 – 1900) في مقاله المنشور بجريدة الحاضرة العدد 02 السنة الأولى 09 أوت 1888 و يضاف إلى الحرية ضرورة الاعتراف بالآخر و بهويته و معتقداته و حضارته و إحلال مبدإ التسامح و التواصل و التفاعل الإيجابي محل نزاعات التعصب و إقصاء فكرة التفاضل بين الثقافات و استبدالها بفكرة التكامل بينها و هو ما سيجعل الحوار بين الشعوب إفادة و استفادة تأثرا و تأثيرا أخذا و عطاء و هو ما سيحقق التعامل الندي دون استصغار و لا تمييز. هذا إلى جانب ضرورة توفر شرط التشارك و نقصد بذلك أن يؤمن كل

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

طرف بالطرف الآخر و يتعامل معه بكل جدية و مصداقية و يعتبره مشاركا فعليا و ليس وهميا. دون تناسي شرط تحويل الحوار قيمه خاصة و أنه لا يزال يمثل إشكالا من حيث النجاعة و المردودية فالحوار في ظاهره مسألة حتمية و خيار لا بديل عنه و في باطنه مجرد تنظير و أحلام تحتاج إلـــى التـطبيـــق و التفعيل الذي نأمل أن يتحقق على أرض الواقع فتحترم الشرعية الدولية و يتأسس الحـــق و العـــدل و المساواة بعيدا عن منطق التفوق المادي و العنف.

5- عـوائـق الحـوار:

هناك عدة عوائق للحوار الحضاري منها:

- ❖ إن أعداء الحوار يرون في **العـنـف** و العدوان في أشكالهما المتنوعة وسائل مثلى لتحقيق أغراضهم في فض النزاعات.
- ❖ إن **النزاعات الدينية و الأصولية** تدعو إلى القطيعة و نبذ الآخر و هي حاضرة شرقا و غربا و تطفو على السطح كلما نشب خلاف أو نزاع.
- ❖ إن ذوي **النفوذ السياسي ينتهكون** حقوق الأمم المستضعفة و ينهبون ثرواتهم باسم **الشرعية الدولية** متخفين وراء شعارات براقة.
- ❖ إن للإعلام المضلل دورا هاما في إعاقة الحوار و التقليل من مصداقية الواقع و من ذلك التركيز على إشهار بؤر العنف و مشاهد العداء الديني و العنصري و الطائفي دون أخـــرى و المبالغة في ذلك و هو ما يولد أفكارا مغلوطة عن الآخر بل إن هذا الأخير قلما يسلط الضوء على عناصر التقارب بين الهويات و الحضارات.

و بذلك تتعدد عوائق الحوار و تتنوع لتعرقل مشروع التواصل و التحاور بين الأنـا و الآخر و نذكر من بينها:

- **العـوائـق الفكـريـة و الثـقافـيـة:**

✓ التمايز الحضاري والاستعلاء ورفض الآخر لمجرد اختلاف لونه أو عقيدته أو جنسه أو جنسيته و هو ما يخلق العنصرية و يزيد في هوة التباعد بدل التقارب.

✓ نمو التعصب الديني و العرقي و هو ما يولد الإرهاب.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

✓ الظلم و الاستبداد و هو ما يخلق الإحساس بالعداء و عقدة الاستصغار.

- **العوائق السياسية:**

✓ كالهيمنة و الوصاية و ممارسة الضغوطات و الاضطهاد و التفرد و الاستئثار بالسلطة و كبت الإبداع الثقافي و الفني.

✓ تغليب منطق القوة على قوة المنطق بتشجيع إنتاج و ترويج الأسلحة لمجرد التسلح و هو ما يضعف ميزانيات التعليم و الصحة و الموارد الطبيعية مقابل الإيحاء بسياسة العداء بدعوى الحماية و هو ما حصل في الخليج العربي عامة و العراق خاصة.

- **العوائق الاجتماعية و الاقتصادية:**

✓ و تلخص في سياسة الإقصاء و التهميش التي من شأنها توسيع الفوارق الطبقية و هو ما يولد حوار الجائعين الكادحين مع المتخومين الذي يُطعّم الحقد و الكراهية و يذكّي النزاعات و العدوانية.

- **العوائق الأخلاقية:**

✓ إن موضوع أنسنة العولمة و عولمة الأخلاق يبدو استعجاليا أكثر من ذي قبل فالقيم الإنسانية هي القلب النابض لمجتمع سوي.

✓ إن الزّحف المفرط في غزارة المعلومات و الأفكار و المنتجات قد أدّى إلى اضطرابات في العلاقات الاجتماعية و تفككا في الروابط الأسرية و بروزا ملحوظا للجريمة نتيجة التوظيف الخاطئ لوسائل الاتصال بمختلف أشكالها و هو ما زاد في التنافر و التباعد و الصراع بدل التواصل:

و إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقي

- **العوائق التربوية:**

✓ كالانغلاق الثقافي و تسريب أفكار تفاضلية تغذي الاستعلاء على الآخر و التعصب للذات.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

- ضعف الوسائل التربوية القادرة على التصدي للجهل و التخلف و الأمية.

برغم كثرة العراقيل و تعدد العوائق فإن الحوار يظل من الضروريات خاصة في زمننا المعاصر

الخيار الثقافي في عصر العولمة هو خيار بين الحضارات بسبب التقارب المادي و الإعلامـــــي و تقلص المسافات و وثوق المصالح و العمل المشترك بين الأمم بحيث لا يمكن المكوث بمنأى عن العالم و بذلك يمكن إرجاع حتمية الحوار الحضاري لعدة أسباب منها:

- تنوع و تعدد الثقافات، إذ لا يمكن الحديث عن وحدانية أو تفاضل ثقافتين
- طبيعة المرحلة الراهنة تقتضي الحوار الحضاري بعد قيام الثورتين التكنولوجية و الاتصالية وإزالة الحدود التي كانت تفرضها الإيديولوجيات المنغلقة، و انفتاح آفاق الحريات و حتمية عولمة الاقتصاد خاصة إثر انهيار الاتحاد السوفياتي.
- المعطى الثقافي شرط الحوار الثقافي بين الأمم فهو عنوان الهوية .
- التاريخ يشهد على أن الثقافات التي مرّت بصراعات ذات تجارب مدمرة أغلب النزاعات لم تخلف سوى الخراب و الانكسار، في حين استفادت الحضارات من التفاعل و التواصل و التحاور الذي أثمر عبر تعاقب الأزمنة السلام و حقق الوئام.
- نحن اليوم أحوج ما نكون إلى التخاطب و التحاور عوض خوض الصراعات و الحروب لضمان العالمية و كل ذلك يضمنه الالتزام بمبدإ الحوار.
- إن شعار **" لا حوار مع الغالب"** يمثل أحد الاستثناءات في هذه الحتمية حسب البعض ذلك ما يتوفر لدى أصحاب النفوذ من آليات الهيمنة و بسط النفوذ الذي ينتج عنه قمع الضعيف و عدم تمكنه من إيصال قضيته إلى الرأي العام العالمي. و في هذه الرؤية بعض الحقيقة لا كلها لأن المتسلط بيده القرار و صوته أرفع من الضعيف في المجتمع الدولي و سطوته تجعله يكيف الحقائق بحسب مصالحه لكن في المقابل ليس كل من بيده القوة العسكرية بالضرورة قوي ثقافيا لأن ثقافة العدوان هشة و مبنية على قيم زائفة واهية بل و خطرة على الإنسانية جمعاء.
- الحوار الثقافي إذن هو البوابة لمواجهة القوى الغاشمة لأنه يعرّف بالقضية الجوهرية لأي أمة لدى دعاة السلام و أنصار الحرية في المجتمع الدولي.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

✓ الثقافة الأصيلة لا تخشى غالبا و لا يستهدفها مقيد أو غزو ثقافي لأن فيها من المناعة الذاتية ما يجعلها تتكيف مع ثقافة الآخر و لا تذوب فيها على شاكلة الحضارة العربية الإسلامية التي حافظت على هويتها بالرغم من أحقاب الاستعمار التي عاشتها فحققت من النمو و الانتشار باعا مهما و إذ يتجلى وجه الحقيقة الآخر وهو **" نعم للحوار مع الغالب"**

II. فـي حوار الحضـارات:

تقويـم المحور:

إلى أي مدى يمكن الحديث عن حوار ناجع في زمن تصادم الحضارات؟

و هل تفيد الدّعوة إلى الحوار عصر الحروب و الحصار؟

إنّ مـا تتعرض لـه الشعوب العربية في العراق و فلسطين من حصار و احتلال و فـتن و تفكـيك لاستغلال الدولة الوطنية إضافة إلـى تسابـق الـدول اللبراليـة و الأوروبية من أجل التدخل في شؤون الكثير من الدول الإفريقية و العربية مثل سوريا يتعارض و يتناقض مع الدعوة إلى الحوار.

- هل يمكن أن يتحقق الحوار بين الدول الغربية و الدول العربية في ظل الهيمنة و الاقصاء؟

إن ما تعيشه الدول العربية من تهميش و تناسي و إقصاء سببه عدم امتلاك مفاتيح النجاح العلمي و التقني و لعدم الاتفاق على أهداف واضحة يجعل هذه الدول غير مستعدة لحوار فيه الكثير من الاستصغـــــار و التفاوت و الدّونية و لا يضمن لهم أدنى المكاسب الضرورية التي تنص عليها القوانين الدولية.

⇦ هل يتحقق الحوار الكوني و الإنسانية تعيش الحروب العنصرية؟

نحن اليوم في زمن التسابق نحو التسلح و بسط النفوذ و تغليب منطق القوة على قوة المنطق حتى أن الحرب أصبحت ضرورة لتحقيق التحولات التاريخية و هو ما يجعل الحديث عن الحوار أقرب إلى الحديث عن المدينة الفاضلة مـدينة الأحلام و المثل التي لا تتطابق مع واقع المصلحة واقع " الغاية تبرر الوسيلة".

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

قد لا نكون من المبالغين إذا اعتبرنا حوار الحضارات في زمننا المعاصر خدعة لتضليل الشعوب واستيلاب الوعي فالدول الغربية في الظاهر تدعو إلى التحاور إلاّ أنها لا ترى مانعا من ممارسة الهيمنة و الاستحواذ كما أن دعوتها إلى العرب لم تكن يوما برينة غايتها الاستفادة و إنما لأهداف استراتيجية مثل الحد من المد الأمريكي و الوقوف في وجه تسونامي المد الصيني دون تجاهل ما تستبطنه برامج التعاون الدولي من غزو و تقييد لحرية الدول الوطنية عن طريق المساعدات المشروطة الهادفة إلى طمس الهوية و قبر الخصوصية.

إنها المخاتلة و المغالطة بل هي الكذبة الكبرى لترويج و تمرير مشاريع الهيمنة.

III. تعـــريفـــات:

1 – أعـــــلام:

- توفيق بن عامر: أستاذ تعليم عال من مواليد 27 جانفي 1946 بولاية سوسة متحصل على دكتوراه دولة في الحضارة العربية الإسلامية
- محمد السنوسي: أديب تونسي (1851-1900) كان كاتبا بإدارة جمعية الأوقاف و محررا بجريدة الرائد الرسمي

2- مصطلحـــــات:

- العولمة: هي مصطلح ظهر في فترة التسعينات شاع الحديث عنها في كل المحافل السياسية والإعلامية وتعني عولمة الزمن بإتباع التوقيت العالمي وعولمة المكان عبر تكنولوجيا الاتصالات و المواصلات

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math